

## سيناريوهات الطفل لتحقيق غاياته



أطفالنا ليسوا لنا، كما قال جبران، هذا صحيح، ولكنهم لن يحصلوا على أجنبية خاصة بهم يطيرون بها ما لم نساعدهم على إنجابها. والمساعدة على إنجابها تمر عبر التربية وممارسة السلطة الرشيدة والواعية. هذا دور الأهل، أمّا دور الأطفال فهو الاستدارة على هذه السلطة ومحاولة إفشالها بكل السُّبل، من دموع وعويل وصرخ وابتزاز وواقحة، كلّ شيء مباح حتى نملّ ونقول للطفل: «افعل ما تشاء».

وإذا نظرنا من حولنا، نلاحظ أنّ ثمة سيناريوهات ثلاثة هي الأكثر رواجاً بين الإستراتيجيات التي يتبعها الأطفال. فما الطريقة للردّ عليها؟

أوّل سيناريو يقضي بأن يتظاهر الطفل بأَنّه لم يفهم طلبكم. لكن، ألم تلاحظوا أَنّه يفهم ما يشاء ومتى يشاء؟ فحين تقتربون عليه الخروج مثلاً، ترون أنه يسارع إلى الفهم ولكن حين تطلبون منه القيام بواجب من الواجبات، يتحول فجأة إلى إنسان فقد لقدراته العقلية. أليس هذا بالأمر الغريب؟ والأغرب أَنّكم أحيا ناً تصدقونه في حين ينبغي أن تطلبوه منه التفكير في الأمر في غرفته إلى أن يفهمه!

ثاني سيناريو هو أن ينفجر الطفل باكياً ومؤكداً تأكيداً تماماً أزّه لم يعد يحبكم. وهذا من رابع المستحيلات. فالمسألة إذاً هي مجرد ابتزاز، والمبتز الصغير لا يلتجأ إليها إلا لأنّه يشعر بأنّها وسيلة مكتوب لها النجاح. والسؤال هنا لماذا ينتابه هذا الظن؟ لأنكم تعتقدون حقاً أزّه قد يأتّي يوم يكرهكم فيه؟ وفي هذه الحالة، عليكم أن تذكروا المحتال الصغير أنّ وظيفتكم كأهل تحتم عليكم أن تعلّموا طفلكم الخطأ من الصواب، سواء أحبكم أم لم يحبكم، ولا تخافوا، سيظل يحبكم.

أمّا ثالث السيناريوهات فهو المطالبة بمكافأة مقابل الطاعة. وهذا أمر أقرب إلى الترويض منه إلى التربية، حين نعطي الحصان حبة سكر كلما قام بما نريده منه. كما أزّه سلوك من شأنه أن يجعل الطفل غير مدرك بالمرة لأهمية احترام القواعد والقوانين. فلنتخيل مثلاً أزّنا في كلّ مرة نقف فيها عند إشارة الضوء الأحمر، نتوقع من الشرطي أن يقدم لنا هدية! يجب أن نحترم القاعدة لأنّها مفيدة ولأنّها تجنبنا وتحبّ الآخرين الإصابة بالضرر ولا نحترمها لأنّنا نتوقع مكافأة.

ولا ننسى أزّنا نربي أطفالنا الآن حتى يتمكنوا يوماً من أن يعيشوا سعادة من دوننا.

—(د. هدى محيو)